فصل

قال العراقي: «ومنها: قوله ﷺ: **«اغفر لأمي فاطمة بنت أسد، ووسع عليها مدخلها، بحق نبيك، والأنبياء الذين من قبلي»**[(١)] إلى آخر الحديث، رواه الطبراني في «الكبير» وصححه ابن حبان، والحاكم، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وفاطمة هذه أم علي -كرم الله وجهه- التي ربت النبي ﷺ ...» إلى آخر كلامه.

والجواب أن يقال: في سنده «روح بن صلاح المصري» ضعفه ابن عدي، وتصحيح الحاكم له لا يجدي شيئًا، فإنه جمع في «مستدركه» من الأحاديث الضعيفة والمنكرة والموضوعة جملة كثيرة، وقد روى فيه لجماعة من المجروحين في كتابه في «الضعفاء».

وأما رواية الطبراني له فيقال لهذا الملحد: كم في الطبراني من حديث يخالف هذا، ويدل على وجوب التوسل بأسماء الله وصفاته، وإنابة الوجوه إليه فما أعمى عينك عنها؟ هل هناك شيء أعماها سوى الجهل والهوى؟ وقد تكلم في هذا الحديث غير واحد.

وقال شيخ الإسلام: قد بالغت في البحث والاستقصاء، فما وجدت أحدًا قال بجوازه إلا ابن عبد السلام، في حق نبينا عليه

---

(١) على أن الطبراني لما أخرجه في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٣٥١-٣٥٢) و«الأوسط» قال: لم يروه عن عاصم إلا الثوري، تفرد به روح بن صلاح ا.هـ.
فهذه إشارة منه رحمه الله إلى ضعف الحديث.

وأما قوله : «فليست درجته دون درجة الشهداء الذين صرح الله تعالىٰ أنهم ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران : ١٦٩]» .

فأقول : بل درجته فوق درجة الشهداء وأكمل حالًا ، وما نال الشهداء تلك المنزلة إلا بالإيمان به ، وتصديقه ، والجهاد معه وفي سبيله ، فله أجره وأجورهم وأجر من آمن به إلىٰ يوم القيامة ، ولكنهم كما قال الله تعالىٰ : ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ فهو أعلىٰ منهم درجة ووسيلة ، وأقربهم إليه منزلة ، وإذا كان لا يدعىٰ ، ولا يتوسل به بعد وفاته ، فهم من باب الأولىٰ والأحرىٰ .

* * *

فصل

قال العراقي: «ومنها ما رواه البيهقي وابن أبي شيبة بإسناد صحيح: أن الناس أصابهم قحط في خلافة عمر رضي الله عنه فجاء بلال بن الحارث رضي الله عنه إلى قبر النبي ﷺ، وقال: يا رسول الله استسق لأمتك، فإنهم هلكوا. فأتاه رسول الله ﷺ في المنام، وأخبره أنهم يسقون. واستدلالنا هذا ليس بالرؤيا للنبي ﷺ، فإن رؤياه -وإن كانت حقًّا- لا تثبت بها الأحكام، لإمكان اشتباه الكلام على الرائي، وإنما الاستدلال بفعل أحد أصحابه ﷺ في اليقظة، وهو بلال بن الحارث، فإنه أتى قبر النبي ﷺ وناداه، وطلب منه أن يستسقي لأمته».

والجواب أن نقول: قد كفانا مؤنة إيضاح عدم الاعتبار بالمنامات وأنه لا يثبت بها حكم شرعي، لكن نقول هذا الحديث فيه مقال مشهور.

قال الحافظ في «الفتح»: وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان، عن مالك الدار - وكان خازن عمر رضي الله عنه - قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر رضي الله عنه فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ في المنام، فقيل له: ائت عمر... الحديث.

وقد روى سيف في «الفتوح» أن الذي رأى في المنام المذكور هو: بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة[1].

---

(١) انتهى كلام ابن حجر في «الفتح» (٢/ ٤٩٦).

وأما قوله : «أما نحن فنقول إن الله هو الخالق لكل شيء ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات : ٩٦]» .

فأقول : كون الله -تعالى- هو الخالق لكل شيء ، وأن الله خلق العبد وعمله ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات : ٩٦] مما لا مرية فيه ، وهذا معروف من عقائد أهل السنة والجماعة ، وإنما ينفي الفعل حقيقة عن فاعله ومن قام به القدرية المجبرة ، الذين يزعمون أن العبد مجبور ، وأنه لا اختيار له ولا مشيئة ، كما هو مبسوط في موضعه .

فإذا زعمتم أن دعاء الأموات ، والاستغاثة بهم ، والالتجاء إليهم ، والتعلق عليهم إنما هو باعتبار التسبب والكسب العادي ، وإنما المستغاث به في الحقيقة هو الله ، فإسناد الغوث إلى الله تعالى إسناد حقيقي باعتبار الخلق والإيجاد ، وإلى الأنبياء والصالحين إسناد مجازي .

فإذا كان ذلك كذلك لزم أن يكون إسناد أفعال العباد كلها إلى الله تعالى حقيقيًا ، فإن اعتقاد أهل السنة والجماعة أن الخالق لأفعال العبد هو الله تعالى ، وهذا يقتضي أن يتصف الله -تعالى- حقيقة بالإيمان والصلاة ، والزكاة والصوم والحج والجهاد ، وصلة الرحم ، وغير ذلك من الأعمال الحسنة ، وكذلك يتصف حقيقة بالأعمال السيئة ، من الكفر والفسوق والفجور والزنا ، والكذب والسرقة ، والعقوق وقتل النفس ، وأكل الربا ، وغيرها ، فإنه -تعالى- هو الخالق لجميع الأفعال حسنها وسيئها . والتزام هذا فعل من لا عقل له ولا دين ، فإنه

الصلاة والسلام[(١)]- والمقصود من القصة أن هاجر -عليها السلام- لم تطلب إلا من حاضر محسوس، وليس ما طلبته مما اختص طلبه بالله سبحانه، فإنها طلبت من المصوت ما يسد جوعتها، ويروي غلتها، كما يقول المنقطع في الطريق العادم الزاد والماء إذا مر عليه أحد وأحس به: أغثني بما عندك من ماء وطعام، وأعطني مما تفضل الله به عليك من الإنعام، أفيقال لهذا إنه طلب ما لا يقدر عليه إلا الله، والتجأ في شدته إلى من سواه؟ فقاتل الله أهل الكفر والضلال، كيف لعب الشيطان بعقولهم، حتى أوردهم المهالك، انتهى باختصار من قول بعض أهل التحقيق من أهل العلم.

---

(١) الحديث في «صحيح البخاري» عن ابن عباس رضي الله عنهما مطولًا، في كتاب أحاديث الأنبياء، باب «يزفون»: «النسلان في المشي» (٦/ ٣٩٦-٣٩٧-٣٩٨)، وقد أشار الحافظ ابن حجر إلى أن بعض الروايات للصحيح لم تذكر فيها هذه الترجمة، وإنما أدرجت ما تحتها من أحاديث في الترجمة السابقة، وهي: باب قول الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾.

قال الحافظ: تنبيه: وقع في رواية الحموي والكشميهني قبل حديث أبي هريرة هذا -يعني أول حديث تحت باب «يزفون» أي النسلان في المشي- ما صورته: «يزفون النسلان في المشي» وفي رواية المستملي والباقين: «باب» بغير ترجمة، وسقط ذلك من رواية النسفي. ووهم من وقع عنده: «باب يزفون: النسلان في المشي» فإنه كلام لا معنى له، والذي يظهر ترجيح ما وقع عند المستملي. قوله «باب» بغير ترجمة يقع عندهم كالفصل من الباب، وتعلقه بما قبله واضح، فإن الكل من ترجمة إبراهيم. وأما تفسير هذه الكلمة من القرآن فإنها من جملة قصة إبراهيم مع قومه حين كسر أصنامهم، قال الله تعالى: ﴿ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾ ... إلخ. اهـ.

فصل

قال العراقي : «ومنها ما رواه البخاري في حديث الشفاعة : إن الخلق بينما هم في هول القيامة استغاثوا بآدم ثم بنوح ، ثم بإبراهيم ، ثم بموسىٰ ، ثم بعيسىٰ ، وكلهم يعتذرون ، ويقول عيسىٰ : اذهبوا إلىٰ محمد ، فيأتون إليه ﷺ فيقول : «**أنا لها** . . .» الحديث . فلو كانت الاستغاثة بالمخلوق ممنوعة لما ذكرها النبي ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم ، وأجاب المانعون أن هذا يكون يوم القيامة ، حيث يكون للنبي ﷺ قدرة ، ورد عليهم أنهم في حياتهم الدنيوية لا قدرة لهم إلا بنوع التسبب ، فكذلك بعد الموت ، علىٰ أنهم أحياء في قبورهم يتسببون» .

والجواب أن نقول : قال بعض المحققين من أهل العلم في جوابه :

إن استغاثة الناس بالنبي ﷺ وقبله بآدم ثم بنوح . . . إلىٰ آخر حديث الشفاعة ، فهذه شفاعة بالدعاء .

والاستغاثة بما يقدر عليه المستغاث مستحسنة عقلًا وشرعًا ، ومن ذلك الرفقة يستغيث بعضهم بعضًا أي في مهماتهم التي يقدرون عليها ، وكذلك ما طلب الناس منه ، وهي الشفاعة التي هي الدعاء ، ولذلك يقول سيد الشفعاء ﷺ في آخر الحديث : «**فأجيء فأسجد**» وأنه يلهمه الله من الثناء والدعاء شيئًا لم يلهمه لغيره ﷺ ، فعند ذلك يأذن الله بالشفاعة ، ويقول له كما ورد في الحديث : «**يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع ، واشفع تشفع**» وهذا ظاهر جدًا .

وأما ما أورده على الجواب من أن للمستغاث بهم قدرة كسبية وتسببًا فتنسب الإغاثة إليهم بهذا المعنى ، سواء كانوا أحياء أو أمواتًا ، وسواء كانت الاستغاثة بما يقدر عليه المستغاث ، أم لا ، مدفوع بأن كون العبد له قدرة كسبية لا يخرج بها عن مشيئة رب البرية ، لا يستغاث به فيما لا يقدر عليه إلا الله ، ولا يستعان به ، ولا يتوكل عليه ، ولا يلجأ في ذلك إليه ، فلا يقال لأحد حي أو ميت ، قريب أو بعيد : ارزقني أو أمتني ، أو أحي ميتي ، أو اشف مريضي ، إلى غير ذلك مما هو من الأفعال الخاصة بالواحد الأحد ، الفرد الصمد ، بل يقال لمن له قدرة كسبية قد جرت العادة بحصولها ممن أهله الله لها : أعني في حمل متاعي ، أو غير ذلك .

والقرآن ناطق بحصر الدعاء عن كل أحد لا من الأحياء ولا من الأموات ، سواء كانوا أنبياء أو صالحين أو غيرهم ، وسواء كان الدعاء بلفظ الاستغاثة أو بغيرها ، فإن الأمور غير المقدورة للعباد لا تطلب إلا من خالق القدر ، ومنشئ البشر ، كيف والدعاء عبادة ، وهي مختصة به سبحانه .

بقي ما أدلى به العراقي وأضرابه علينا من حياة الأنبياء ، ليتوصلوا به إلى ترويج مدعاهم ، من استحسان دعائهم ، وطلب إغاثتهم ، وأولوه بأن مرادهم من ذلك الاستشفاع : طلب أن يدعوا لهم .

فنقول : هذا حق ثابت ، فنعتقد حياتهم صلى الله تعالى عليهم وسلم حياة برزخية ، فوق حياة الشهداء ، وأن نبينا ﷺ قد جعل عند

إياها في تلك الأماكن المتعددة، لطفًا منه ورحمة بالمستغيث، لكرامة المستغاث به، وليس في ذلك محال، فإن رحمة الله -تعالى- واسعة ليس لها حد» .

والجواب أن يقال أولًا : نعم، ليس هذا من معتقد المسلمين، وحاشا لله، بل هو من معتقد من أشرك بالله غيره في عبادته .

ويقال ثانيًا : دعوى حضور البركة بخلق الله -تعالى- إياها في تلك الأماكن المتعددة دعوى مجردة عن الدليل، وكيف يكون ذلك وقد قال تعالى : ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ﴾ [فاطر : ١٤]، وقال تعالى : ﴿ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴾ [يونس : ٢٨، ٢٩] .

وهذا كما هو بين في القرآن فهو بعيد في العقل، فإذا كان المدعو في حال حياته واجتماع حواسه وحركاته لا يسمع من دعاه على البعد ولو مسيرة فرسخ، فكيف يجوز في عقل من له أدنى مسكة من عقل أنه إذا مات وفارقت روحه جسده وذهبت حواسه وحركته بالكلية وصار رهينًا في الثرى جسدًا بلا روح أنه -والحالة هذه- يسمع من البعيد ولو مسيرة شهر أو أكثر ويجيب، فكل عقل صحيح يحيل ذلك، ويعلم أنه من أمحل المحال، لكن هؤلاء المشركون فسدت عقولهم وفطرهم، وزين لهم الشيطان ما يعتقدون من الكذب والمحال والشرك والضلال، حتى آل الأمر بهم إلى أن زعموا في معتقدهم حضور البركة

بخلق الله -تعالى- إياها في تلك الأماكن المتعددة لطفًا منه، ورحمة بالمستغيث به لكونه أشرك في عبادة الله غيره، ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٢٧].

فإن قيل: إن هذا الذي أردناه من هؤلاء الأموات يحصل لنا من أرواحهم.

قيل: وهذا منتفٍ في العقل، كما نفاه القرآن، وذلك أن أرواح الأنبياء والصالحين في أعلى عليين، فيمتنع عقلًا وشرعًا وفطرة وقدرًا أن الأرواح التي فوق السموات السبع، وفي أعلى عليين، أنها تسمع دعاء أهل الأرض، وتنفعهم، وتتصرف فيهم، هذا محال قطعًا وضلال مبين، فإن الله تعالى قال: ﴿وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥]، فكل من دعي من الأموات والغائبين والأنبياء والصالحين فمن دونهم غافل عن دعاء داعيه، بنصوص القرآن العزيز ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ [فصلت: ٤٢]، فسبحان من أنزل كتابه روحًا وهدى ونورًا وبرهانًا يهتدي به من هداه الله إلى صراطه المستقيم.

* * *

فصل

ثم قال العراقي : «ثم إن الوهابية لما رمت المسلمين بهذا المعتقد ، الذين هم براء منه ، ساقت على بطلانه ما ذكره الفقهاء في شرائط النكاح ، وذلك أنهم قالوا : لو تزوج رجل امرأة بشهادة الله ورسوله لا ينعقد النكاح . وقالت : لو كان النبي يعلم نداء المستغيث به إذا ناداه من بعيد لكان علام الغيوب ، ولصح انعقاد النكاح الذي قال الفقهاء ببطلانه» . ثم لم يأت بجواب ينقض على الوهابية إلا عدم حضور المستغاث عند ندائه ، وأنه لا يعتقد هو ، والمشركون الداعون غير الله : علم الغيب لأحد . ثم اعتذر عن عدم انعقاد النكاح أنه صيانة لحقوق الزوجة . وبما ذكر بعده مما لا ينقض على الوهابية مدعاهم [بالأدلة الصحيحة المتقدم بيانها فيما مضى][1] لكن تجارى به كفره وعناده إلى أن قال : «وحينئذٍ لا يمكن لأحد الخصمين أن يثبت دعواه بشهادة الله ورسوله ؛ إذ نحن لو فرضنا أن الله -تعالى عما يقول الظالمون- جسم ينزل إلى السماء الدنيا كما زعمت الوهابية نقول : ما جرت عادته -تعالى- أن ينزل إلى غرفة الحاكم ، فيؤدي شهادته أمامه ، حسمًا لنزاع المخاصمين» .

فتعالى الله وتقدس عن كفر هذا العراقي وإلحاده ، وجرأته على الله ، وعلى شرعه ، كيف تجارى به كفره إلى هذه المقالة .

---

(١) سقط ما بين المعقوفين من ط . الرياض .

أن اللَّه تعالىٰ له وجه ويدان، وأن اللَّه تعالىٰ يرىٰ في الآخرة، كما يرىٰ القمر ليلة البدر، وكما ترىٰ الشمس صحوًا ليس من دونها سحاب، وأن اللَّه ينزل إلى السماء الدنيا كل آخر ليلة، فينادي: هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من داعٍ فأجيبه؟ حتىٰ ينفجر الفجر، وأن اللَّه يشار إليه بالإصبع إشارة حسية، كما أشار إليه أعرف الخلق به من أعظم مجمع وجد علىٰ ظهر الأرض، وأن اللَّه تعالىٰ يوم القيامة يجعل السموات علىٰ إصبع، والأرضين علىٰ إصبع، والشجر علىٰ إصبع، والماء علىٰ إصبع، والثرىٰ علىٰ إصبع، وسائر الخلق علىٰ إصبع، فيقول: أنا الملك. كما صحت بذلك الأحاديث عن رسول اللَّه ﷺ، إلىٰ غيره مما جاء في الكتاب والسنة، مما وصف اللَّه به نفسه، ووصفه به رسوله، من غير تشبيه ولا تمثيل، ومن غير تكييف ولا تعطيل.

وأما الجسمية فلا يقولون بها نفيًا ولا إثباتًا؛ لأنه يراد بها معنىٰ صحيح، ومعنىٰ باطل، ولأنه لم يرد بذلك قرآن ولا سنة، ولا نطق بذلك الصحابة، ولا التابعون، ولا الأئمة المهتدون.

وأما زعمه أنهم كفروا من أخذ بالإجماع، وكفروا من قلد الأئمة المجتهدين، فمن الكذب الواضح، والإفك الفاضح.

وأما تكفيرهم من دعا الأنبياء والأولياء والصالحين، والتجأ إليهم، واستغاث بهم، في مهماته وملماته، وسمىٰ ذلك تشفعًا وتوسلًا، فلكون ذلك هو الشرك الصريح المخرج من الملة، بدلائل الكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة، من أئمة السلف، ومن تبعهم بإحسان، بعد قيام الحجة علىٰ من فعل ذلك.

فصل

قال الملحد: «لا يخفى على البصير أن زائر القبور يقصد بزيارتها، إما الاستشفاع والتوسل إلى الله بأصحابها، والتبرك بهم، كما في زيارة قبور الأنبياء والأولياء، وإما الاعتبار بالقوم الماضين، تمكينًا للخضوع من قلبه، ونيلًا للأجر بقراءة الفاتحة، والدعاء لهم بالمغفرة، كما في زيارة قبور المسلمين، أو يقصد تذكر من مات من ذويه الأقربين، وأحبائه الراحلين، وأعزته الذين غالتهم يد المنون، فأسكنتهم القبور بعد القصور، فذهبوا عنه ذهابًا ليس وراءه إياب، وغادروه كئيبًا يندب الأسى، ولسان حاله يقول:

ألا يا راحلًا عنا مجدًا
على مهل فديتك من مجد
فلا تعجل وسر سير الهوينا
لأنك راحل من غير عود

وتدفعه إحساساته إلى زيارة قبورهم، فيقف على دوارس أجداثهم، حزينًا يسكب على ترابها عبرات الأسف، ولسان حاله ينشد:

ذهب الذين أحبهم
وبقيت مثل السيف فردا
كم من أخ لي صالح
بوءته بيدي لحدا

وليس في كل هذا ما يستلزم تكفير المسلم، الذي شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله، ولا أظن أن الجاهل الغر من الناس، فضلًا عن العالم المتشرع، تدفعه جهالته أن يقصد بزيارة القبر عبادته، وأن يعتقد كونه يقضي حاجته، فيخلق له ما يريد».

والجواب أن يقال: لا يخفى على البصير أن زائر القبور الذي يقصدر بزيارتها الاستشفاع والتوسل إلى الله بأصحابها، والتبرك بهم، كما في زيارة قبور الأنبياء والأولياء، أنها هي الزيارة الشركية، التي ذكرها العلماء، كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ في «إغاثة اللهفان».

وأما الزيارة الشركية فأصلها مأخوذ من عباد الأصنام، قالوا: الميت المعظم الذي لروحه قرب، ومنزلة، ومزية عند الله تعالى، لا يزال تأتيه الألطاف من الله تعالى، ويفيض على روحه الخيرات، فإذا علق الزائر روحه به، وأدناها منه، فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الألطاف بواسطتها، كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية، والماء، ونحوه على الجسم المقابل له.

قالوا: فتمام الزيارة أن يتوجه الزائر بروحه وقلبه إلى الميت، ويعكف بهمته عليه، ويوجه قصده كله وإقباله عليه، بحيث لا يبقى فيه التفات إلى غيره، وكلما كان جمع الهمة والقلب عليه أعظم، كان أقرب إلى انتفاعه، وقد ذكر هذه الزيارة على هذا الوجه ابن سينا والفارابي وغيرهما، وصرح بها عباد الكواكب في عبادتها، وقالوا: إذا تعلقت النفس الناطقة بالأرواح العلوية، فاض عليها منها النور،

وبهذا السر عبدت الكواكب ، واتخذت لها الهياكل ، وصنف لها الدعوات ، واتخذت الأصنام المجسدة لها ، وهذا بعينه هو الذي أوجب لعباد القبور اتخاذها أعيادًا ، وتعليق الستور عليها ، وإيقاد السرج عليها ، وبناء المساجد عليها ، وهو الذي قصد رسول الله ﷺ إبطاله ، ومحوه بالكلية ، وسدَّ الذرائع المفضية إليه ، فوقف المشركون في طريقه ، وناقضوه في قصده ، وكان ﷺ في شق وهؤلاء في شق ، وهذا الذي ذكره هؤلاء المشركون في زيارة القبور هو الشفاعة التي ظنوا أن آلهتهم تنفعهم بها ، وتشفع لهم عند الله تعالى .

قالوا : فإن العبد إذا تعلقت روحه بروح الوجيه المقرب عند الله ، وتوجه بهمته إليه ، وعكف بقلبه ، صار بينه وبينه اتصال ، يفيض به عليه منه نصيب ، مما يحصل له من الله ، وشبهوا ذلك بمن يخدم ذا جاه وحظوة ، وقرب من السلطان ، فهو شديد التعلق به ، فما يحصل لذلك السلطان من الإنعام والإفضال ينال ذلك المتعلق به بحسب تعلقه به ، فهذا سر عبادة الأصنام ، وهو الذي بعث الله رسله ، وأنزل كتبه ، بإبطاله ، وتكفير أصحابه ، ولعنهم ، وأباح دماءهم وأموالهم ، وسبي ذراريهم ، وأوجب لهم النار .

والقرآن من أوله إلى آخره مملوء من الرد على أهله ، وإبطال مذهبهم ، قال تعالى : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الزمر : ٤٣ ، ٤٤] ، فأخبر أن الشفاعة لمن له ملك السموات

ذلك، [بلى][1] يمكنهم أن يأتوا على الخلوف التي خلفت بعدهم بكثير من ذلك، وكلما تأخر الزمان وطال العهد كان ذلك أكثر، حتى لقد وجد في ذلك مصنفات ليس فيها عن رسول الله ﷺ، ولا عن خلفائه الراشدين، ولا عن أصحابه حرف واحد من ذلك. [بلى][1] فيها من خلاف ذلك كثير، كما قدمناه من الأحاديث. وأما آثار الصحابة فأكثر من أن يحاط بها- ثم ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ قصة الرجل الذي وجد في بيت مال الهرمزان، ثم قال:

ففي هذه القصة ما فعله المهاجرون والأنصار من تعمية قبره، لئلا يفتتن به الناس، ولم يبرزوه للدعاء عنده، والتبرك به، ولو ظفر به المتأخرون لجالدوا عليه بالسيوف، ولعبدوه من دون الله، فهم قد اتخذوا من القبور أوثانًا من لا يداني هذا ولا يقاربه، وأقاموا له سدنة، وجعلوا معابد أعظم من المساجد، فلو كان الدعاء عند القبور والصلاة عندها، والتبرك بها، فضيلة أو سنة، أو مباحًا: لنصب المهاجرون والأنصار هذا القبر علمًا لذلك، ودعوا عنده، وسنوا ذلك لمن بعدهم، ولكن كانوا أعلم بالله ورسوله، ودينه، من الخلوف التي خلفت بعدهم.

وكذلك التابعون لهم بإحسان راحوا على هذا السبيل، وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله ﷺ بالأمصار عدد كثير، وهم متوافرون، فما منهم من استغاث عند قبر صاحب، ولا دعاه، ولا دعا

---

(١) «بلى» من «إغاثة اللهفان»، وفي النسخ: «بل».

أنهم يعترفون له بتوحيد الربوبية ، ويقرون به ، ولذلك احتج عليهم في غير موضع من كتابه بما أقروا به من الربوبية والتدبير ، على ما أنكروه من الإلهية .

ومن ذلك وهو من عجيب أمرهم ما ذكره «حسين بن محمد النعمي» في بعض رسائله : أن امرأة كف بصرها ، فنادت وليها : أما الله فقد صنع ما ترى ، ولم يبق إلا حسبك . انتهى .

قال الشيخ : وحدثني سعد بن عبد الله بن سرور الهاشمي رَحِمَهُ اللَّهُ أن بعض المغاربة قدموا مصر يريدون الحج ، فذهبوا إلى الضريح المنسوب إلى الحسين رضي الله عنه بالقاهرة ، فاستقبلوا القبر ، وأحرموا ووقفوا وركعوا وسجدوا لصاحب القبر ، حتى أنكر عليهم سدنة المشهد ، وبعض الحاضرين ، فقالوا : هذا محبة في سيدنا الحسين .

وذكر بعض المؤلفين من أهل اليمن : أن مثل هذا وقع عندهم .

وحدثني الشيخ خليل الرشيدي -بالجامع الأزهر- أن بعض أعيان المدرسين هناك قال : لا يدق وتد في القاهر إلا بإذن أحمد البدوي ، قال : فقلت له : هذا لا يكون إلا لله ، أو كلامًا نحو هذا ، فقال : حبي في سيدي أحمد البدوي اقتضى هذا .

وحكى أن رجلًا سئل : كيف رأيت الجمع عند زيارة الشيخ الفلاني؟ فقال : لم أر أكثر منه إلا في جبال عرفات ، إلا أني لم أرهم سجدوا لله سجدة قط ، ولا صلوا مدة ثلاثة أيام ، فقال السائل : قد تحملها الشيخ . قال بعض الأفاضل : وباب تحمل الشيخ مصراعاه ما

بين بصرىٰ وعدن، قد اتسع خرقه، وتابع فتقه، ونال رشاش زقومه الزائر والمعتقد، وساكن البلد. انتهىٰ.

قلت: وحدثني الشيخ إسحاق: أنه رأىٰ أيام رحلته إلىٰ مصر - للطلب- هذا المجمع العظيم الذي يسمونه: مولد أحمد البدوي، فذكر أعظم مما رآه في جبال عرفات. قال: ورأيت فيه سوقًا طويلًا للبغايا اللواتي أوقفن أنفسهم[1] للزنا في هذا المجمع صدقة لسيدهن أحمد البدوي.

وليس هذا بعجيب ولا غريب من فعلهم فإنه يجري منهم في ذلك الجمع من الكفر بالله والإشراك به، ما لم يصل إلىٰ ساحله كفر أبي جهل، وأشياعه فالله المستعان.

وأما قول العراقي: «وأما الاعتبار بالقوم الماضين، تمكينًا للخضوع من قبله، ونيلًا للأجر بقراءة الفاتحة».

فأقول: أما قراءة الفاتحة، فمن البدع المحدثة، ولو كان في قراءتها نيل للأجر في ذلك المكان لأمر بها رسول الله ﷺ أصحابه.

وأما قوله: «وليس في كل هذا ما يستلزم تكفير المسلم...» إلىٰ آخره.

فيقال لهذا الجاهل: إن طلب الحوائج من الموتىٰ، والاستشفاع بهم، والاستغاثة بهم، ناقض لشهادة: أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ولا تنفعه الشهادتان مع الإشراك بالله شيئًا، وقد تقدم بيان ذلك.

---

(١) كذا، والصواب: «أنفسهن».

الشهداء، وقد صحت الأحاديث بأنه رأى عيسى في السماء الثانية، ورأى موسى في السماء السادسة، ورأى إبراهيم في السماء السابعة، وكل هذا عندك لا حقيقة له، فإن كانوا في السماء كما رآهم النبي ﷺ لما عرج به إلى الله بطل ما تذهب إليه من أن العروج هو إلى موضع يتقرب إليه بالطاعات لا إلى السماء، وإن لم يكن رآهم في السموات ففي أي مكان رآهم؟ ولا بد من تعيين ذلك الموضع[1].

وقد كان من المعلوم أن أرواح الشهداء بعضها في حواصل طير خضر تسرح في الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل تحت العرش. وبعضها على بارق بباب الجنة، ويخرج إليهم رزقهم من الجنة. وبعضهم في قباب في رياض بفناء الجنة. وفي بعض الأحاديث أن أرواح المؤمنين في عليين.

ومن المعلوم أن أرواح الأنبياء في أعلى عليين، وأنهم أرفع منزلة من الشهداء، فيمتنع عقلًا وشرعًا وفطرة وقدرًا أن الأرواح التي فوق السموات السبع، وفي أعلى عليين، أنها تسمع دعاء أهل الأرض، وتنفعهم، وتتصرف فيهم، هذا محال قطعًا، وضلال مبين، فإن الله قال: ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥] فكل من دعي من الأموات والغائبين والأنبياء والصالحين، فمن دونهم غافل عن دعاء داعيه، بنصوص القرآن العزيز الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

---

(١) يعني ما دام أن الشرع قد عينه.

بقي من هذه المسألة مسألة، وهي: أن المسلم إذا سلم على أهل القبور رد الله على المسلم عليه روحه حتى يرد السلام، قال ابن عبد البر: ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: **«ما من مسلم يمر على قبر أخيه كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام»**[1].

---

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» -كتاب المناسك- باب زيارة القبور: حدثنا محمد ابن عوف، حدثنا المقرئ، حدثنا حيوة، عن أبي صخر حميد بن زياد، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«ما من أحد يسلم إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام»**.

قال الإمام ابن عبد الهادي في «الصارم المنكي في الرد على السبكي» (ص٢٤٩): واعلم أن هذا الحديث هو الذي اعتمد عليه الإمام أحمد وأبو داود وغيرهما من الأئمة في مسألة الزيارة، وهو أجود ما استدل به في هذا الباب. ومع هذا فإنه لا يسلم من مقال في إسناده ونزاع في دلالته. أما المقال في إسناده: فمن جهة تفرد أبي صخر به عن ابن قسيط عن أبي هريرة. ولم يتابع ابن قسيط أحد في روايته عن أبي هريرة. ولا تابع أبا صخر أحد في روايته عن ابن قسيط. وأبو صخر هو حميد بن زياد، وهو ابن أبي المخارق المدني الخراط صاحب العباء ساكن مصر، ويقال: حميد بن صخر... وقد اختلف الأئمة في عدالته، فوثقه بعضهم، وتكلم فيه آخرون. واختلفت الرواية عن يحيى بن معين فيه. وقال عبد الله بن أحمد: سئل أبي عن أبي صخر؟ فقال: ليس به بأس. وروى عن الإمام أحمد رواية أخرى أنه: ضعيف... وقال النسائي: ضعيف... إلى أن قال الإمام ابن عبد الهادي: وأما ابن قسيط شيخ أبي صخر فهو يزيد بن عبد الله بن قسيط... وقد روى له البخاري ومسلم في صحيحيهما حديثه عن عطاء بن يسار. وروى له مسلم أيضًا من =

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : **«ما من رجل يزور قبر أخيه ، ويجلس عنده ، إلا استأنس به ، ورد عليه حتى يقوم»** .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «إذا مر الرجل بقبر أخيه يعرفه ، فسلم عليه ، رد عليه السلام ، وعرفه ، وإذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه ، رد عليه السلام» . ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب القبور .

وفي «سنن أبي داود» من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : **«ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام»** وهذه الأحاديث تدل على أنهم ليسوا بأحياء في قبورهم بدليل قوله ﷺ : **«ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه**

= روايته عن عروة بن الزبير وعبيد بن جريج وداود بن عامر بن سعد بن أبي وقاص . ولم يخرج له في الصحيح شيء من روايته عن أبي هريرة . بل هو قليل الحديث عن أبي هريرة . . . ثم ساق أقوال أئمة الجرح والتعديل فيه وقال :

فقد تبين أن هذا الحديث الذي تفرد به أبو صخر عن ابن قسيط عن أبي هريرة لا يخلو من مقال في إسناده ، وأنه لا ينتهي به إلى درجة الصحيح ، وقد ذكر بعض الأئمة أنه على شرط مسلم . وفي ذلك نظر ، فإن ابن قسيط وإن كان مسلم قد روى في «صحيحه» من رواية أبي صخر عنه لكنه لم يخرج من روايته عن أبي هريرة شيئًا ، فلو كان قد أخرج في الأصول حديثًا من رواية أبي صخر عن ابن قسيط عن أبي هريرة أمكن أن يقال في هذا الحديث : إنه على شرطه . . . إلى أن قال : فعلم أن هذا الحديث الذي تفرد به أبو صخر عن ابن قسيط عن أبي هريرة لا ينبغي أن يقال هو على شرط مسلم ، وإنما هو حديث إسناده مقارب ، وهو صالح أن يكون متابعًا لغيره عاضدًا له ، والله أعلم . اهـ كلام الإمام ابن عبد الهادي رحمه الله تعالى .

السلام» ففي هذا دليل على أن الأرواح قد فارقت الأشباح، وإنما ترد الأرواح لرد السلام.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ بعد كلام سبق: على أن قوله: «ثم تعاد روحه في جسده» لا يدل على حياة مستقرة، وإنما يدل على إعادة لها إلى البدن، وتعلق به الروح لم تزل متعلقة ببدنها وإن بلي وتمزق. وسر ذلك أن الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق، متغايرة الأحكام: أحدها تعلقها به في بطن الأم جنينًا، الثاني: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض، الثالث: تعلقها به في حال النوم، فلها به تعلق من وجه، ومفارقة من وجه. الرابع: تعلقها به في البرزخ، فإنها وإن فارقته، وتجردت عنه، فإنها لم تفارقه فراقًا كليًا، بحيث لا يبقى لها التفات إليه البتة -وقد ذكرنا في أول الجواب من الأحاديث والآثار ما يدل على ردها إليه وقت سلام المسلم- وهذا الرد إعادة خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة، الخامس: تعلقها به يوم بعث الأجسام... إلى آخر كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

وأما قوله: «ومن الأدلة على أن الله تعالى يحيي الموتى في قبورهم فيسمعون: قوله تعالى -حكاية على سبيل التصديق-: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١] فالمراد بإحدى الإماتتين الإماتة قبل مزار القبور، وبالأخرى الإماتة بعد مزار القبور، فإنهم لو لم يحيوا في القبور ثانية ما صحت إماتتهم ثانية.

هــذا ولم لا جــاءه أصــحابه
يـشكون بـأس الفـاجر الفتـان
إذ كـان ذلـك دأبهـم ونبـيهم
حـيّ يـشاهدهم شـهود عيـان
هـل جـاءكم أثـر بـأن صحابه
سـألوه فتيـا وهـو في الأكفـان
فأجـابهم بجـواب حـى نـاطق
فــأتوا إذن بــالحق والبرهــان
هــلا أجــابهمو جوابًــا شــافيًا
إن كــان حيًّــا ناطقًــا بلــسان
هذا وما شدت ركائبـه عـن الـ
ـحجرات للقاصى مـن البلـدان
مع شدة الحرص العظيم له على
إرشــادهم بطرائــق التبيــان
أتــراه يــشهد رأيهـم وخلافهـم
ويكــون للتبيــان ذا كــتمان
إن قلتمو سبق البيـان صـدقتمو
قــد كــان بــالتكرار ذا تبيــان
هذا وكم من أمـر اشـكل بعـده
أعنـى علـى العلـماء كـل زمـان
أومـا تـرىٰ الفـاروق ود بأنـه
قـد كـان منـه العهـد ذا تبيـان

فانظر الى قلب الـدليل عليهمـو
حرفًـا بحــرف ظــاهر التبيــان
لكــن رســول الله خــص نـساؤه
بـخصيـصة عـن سـائر الـنسوان
خيرن بين رسوله وسـواه فاخــ
ــترن الرسـول لـصحة الإيــمان
شـكر الإلـه لهـن ذلـك وربنـا
ســبحانه للعبــد ذو شــكران
قصر الرسول على أولئك رحمـة
منـه بهـن وشـكر ذي الإحـسان
وكذاك أيضا قصرهن عليه معــ
ــلوم بــلا شــك ولا حــسبان
زوجاته في هـذه الـدنيا وفي الــ
أخــرى يقينًـا واضـح البرهــان
فلـذا حـرمن عـلى سـواه بعـده
إذ ذاك صـون عــن فـراش ثــان
لكــن أتــين بعــدة شرعيــة
فيهـا الحـدود وملـزم الأوطـان
هــذا ورؤيتــه الكلـيم مـصليًا
في قــبره أثــر عظـيم الــشان
في القلب منه حسيكة هـل قالـه
فـالحق مـا قـد قـال ذو البرهـان

للمـصطفى مـا يعمـل الـنقلان
هــذي نهايــات لأقــدام الــورى
في ذا المقام الضنك صعب الشان
والحــق فيــه لــيس تحملــه عقــو
ل بنى الزمـان لغلظـة الأذهـان
ولجهلهم بالروح مـعْ أحكامهـا
وصـــفاتها للإلـــف بالأبـــدان
فارض الذي رضى الإله لهـم بـه
أتريـد تـنقض حكمـة الـديان
هل في عقولهموا بـأن الـروح في
أعلـى الرفيـق مقيمـة بجنـان
وترد أوقات الـسلام عليـه مـن
أتباعـــه في ســـائر الأزمـــان
وكذاك إن زرت القبـور مـسلمًا
ردت لهـــم أرواحهـــم لـــلآن
فهمو يردون الـسلام عليـك لا
كِنْ لست تسمعه بذي الأذنـان
هـذا وأجـواف الطيـور الخـضر
ـكنها لدى الجنـات والرضـوان
من ليس يحمـل عقلـه هـذا فـلا
تظلمـه واعـذره علـى النكـران
للروح شأن غير ذي الأجسام لا

آخر غير قيامها ، قال الله تعالى : ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان : ٤٤] .

وقال تعالى : ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [البقرة : ٧] . وقال تعالى : ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾ [الكهف : ١٠٣-١٠٥] الآية .

وأما قوله : «فالذي يؤمن بالله ورسوله ، فإن الله قد يغفر له برحمته بعض الذنوب القولية والعملية» .

فأقول : هذا حق ، وذلك فيمن أتى ذنبًا لا يخرجه من الملة ، أو كان ذلك القول أو الفعل مما ليس بضروري في الدين ، كما تقدم بيانه ، وأما من أشرك بالله في عبادته ، فقد قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء : ٤٨] فأما من أتى بالشرك الأكبر ، فالله قد حرم عليه الجنة ، ومأواه النار ، وإن زعم أنه مؤمن بالله ورسوله ، وتلفظ بالشهادتين ، فإن هذا لا ينفعه مع فعل الشرك المخرج من الملة ، كدعائه غير الله ، واستغاثته بمن سواه ، والالتجاء إليه ، وطلب الحوائج من الولائج ، فإن هذا مناف لشهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله . وما نزل من الآيات في الوعيد على من اقترف ذنبًا لا يخرجه من الإسلام ، فهو تحت مشيئة الله ، إن شاء عذبه ، وإن شاء عفا عنه . ولا يكفر بهذه الذنوب إلا الخوارج .

وأما قوله: «قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ في «مدارج السالكين» ما ملخصه: إن أهل السنة متفقون على أن الشخص الواحد قد يكون فيه ولاية لله تعالى وعداوة من وجهين مختلفين، وقد يكون فيه إيمان ونفاق، وإيمان وكفر، ويكون أحدهما إليه أقرب من الآخر، فيكون من أهله، قال الله تعالى: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [آل عمران: ١٦٧]».

فأقول: هذا حق، فقد يكون الشخص فيه ولاية لله تعالى وعداوة، وذلك كمثل الصحابي الذي كان يكثر من شرب الخمر، فقال رجل: لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به. فقال رسول الله ﷺ: **«لا تلعنه، فإنه يحب الله ورسوله»**، وكذلك من كان فيه خصلة من النفاق كمن إذا خاصم فجر، وإذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وكذلك الكفر مع الإيمان، كقوله ﷺ: **«لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض»**، **«من حلف بغير الله فقد كفر»**، إلى غير ذلك من الأمور التي لا تخرج من الملة، من الأقوال والأعمال.

وبالجملة؛ فالقلب الذي لم يتمكن منه الإيمان، ولم يزهر فيه سراجه، حيث لم يتجرد للحق المحض الذي بعث الله به رسوله، بل فيه مادتان، مادة منه، ومادة من خلافه، فتارة يكون للكفر أقرب منه للإيمان، وتارة يكون للإيمان أقرب منه للكفر، والحكم للغالب، وإليه يرجع، فهذا وأمثاله لا يدخل في مسألة من صرف لغير الله نوعًا من العبادة، فإنا قد بينا فيما تقدم الأدلة على كفره من الكتاب

ستة في الأرض وواحد في السماء، قال: **«فمن الذي تعد لرغبتك ورهبتك؟»** قال: الذي في السماء، قال: **«يا حصين فأسلم حتىٰ أعلمك كلمات ينفعك الله بهن»**، فلما أسلم قال: **«قل: اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي»**[(١)] والله أعلم. انتهىٰ.

قلت: فانظر إلىٰ تصريح الشيخ أن من اعتقد في مخلوق أنه باب الحوائج إلى الله -يعني واسطة في الحوائج- أو أنه يكشف الضر، أو يفتح الرزق، أو يحفظ مصر: أنه كافر مشرك، يجب قتله، وهذا بعينه هو معتقد عباد القبور والناذرين للموتىٰ، المستغيثين بهم، وهو طريقة العراقي، ومذهبه الذي نصره، وقرره واستظهره، وزعم أنه لا يضر إلا إذا اعتقد الاستقلال لغير الله، كما مر عنه في غير موضع، وسيأتيك هذا القيد فيما يأتي من كلامه في مواضع متعددة.

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» كتاب الدعوات (٥/ ٥١٩) من طريق أبي معاوية عن شبيب بن شيبة عن الحسن البصري عن عمران بن حصين... الحديث.

وقال عقبه: هذا حديث غريب.

وقد روىٰ هذا الحديث عن عمران بن حصين من غير هذا الوجه. اهـ.

وأخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» من هذا الطريق أيضًا، واختصر المتن (٣/ ٣).

وأخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٤٤٤) من طريق منصور عن ربعي بن حراش عن عمران بن حصين أو غيره... الحديث، وليس فيه سؤال النبي ﷺ، وفيه زيادة في الدعاء الذي قاله النبي ﷺ له.

وأخرجه الحاكم من هذا الطريق أيضًا، وقال: حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين وأقره الذهبي. «المستدرك» (١/ ٥١٠).

والحمد لله الذي هدانا لدين الإسلام، وجنبنا طريق هؤلاء الجهلة الطغام، الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، واتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله سيد المرسلين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وقد قرظ على جواب «جميل» رجل يقال له: «عبد الصمد بن أحمد النساك» وهذا جواب على تقريظه، ومن الله أستمد الصواب:

ألا قل لأهل الجهل من كل
وكل كفور من ذوي الغي مارق
كلام جميل لا جميل فينتقى
ولا بسديد يرتضى في الحقائق
على أنه همط وخرط ملفق
أكاذيب لا تعزى إلى نقل
أتى فيه بالكفر الصريح مجاهرًا
ومرتضيًا ما قد أتى من شقائق
لعمري لقد أوهى به مهيع
وأعلى به سبل الردى بالمخارق
وهدّ به ركنًا من الدين شامخًا
وشاد من الكفران أخنع زاهق

يطلب الحق والرشاد إلى الحـ
ـق له ديدن على كل شاني
دام في العز والسعادة والمجـ
ـد بنصر وخصمه في الهوان
في أمان الإله يرعى ويحظى
بالذي يرتجى ونيل الأماني
مع عبد العزيز آل سعود
نجل عبد الرحمن فخر الزمان
جاهدًا في الإله حق جهاد
بسنان وساعد وجنان
شاهر السيف والسنان على من
قد غدا ملحدًا وذا عدوان
ناصر الدين تابع الحق أضحى
ثابت الجأش كامل الإيمان
دام يرقى إلى المعالي بسعد
وبنصر علا على رغم شاني
قامع الابتداع من كل قطر
مفحم القرن قائم البرهان
ما تغنت بلابل الأيك تشدو
وتلتها حمائم الأغصان
أو حدا بالقريض نجل حسين
بو خليل في الهند سيف يماني

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

مقدمة المحقق ٥
مقدمة المؤلف ١٣
فصل في منشأ دعوة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ١٦
لا يُقبل في نقل الأقوال والأحكام قول كل قائل ١٨
فصل في طلب الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ للعلم ومبدأ دعوته ١٩
المسلسل بالأولية، وتخريجه ٢٠
المسلسل بالحنابلة، وتخريجه ٢٢
محبة الصالحين، كيف تكون؟ ٢٤
فصل في حال الناس في نجد وغيرها قبل دعوة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ٢٦
عبادة القبور والأشجار والمغارات ٢٧
حال أهل مكة والطائف وجُدة ٢٧
حال أهل مصر ٣٢
حال أهل اليمن ونجران ٣٢
حال أهل الشام والعراق ٣٤
دعوة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ٣٦
فصل في حقيقة دعوة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ وأنها سلفية أرجوزة الحفظي في مدح الدعوة ٣٨
فصل في نقض تعيير الملحد بسكنى بلاد مسيلمة ٤٦
كذب دعواه بأن أهل الدرعية كانوا مُجْبَرين ٤٨
كيد أهل نجد وغيرهم لهم، ورد الله هذا الكيد ٥٠

فصل في دلالة ظاهر نداء المشرك غير الله ٥١٣
فصل في عقيدة أهل السنة في الصفات ٥١٦
فصل في زيارة القبور الشركية ، والشفاعة ٥١٨
زيارة القبور الشرعية ٥٢٤
فصل في عبادة القبور ٥٣٢
فصل في شد الرحال للقبور ٥٣٧
مسألة سماع أهل القبور ٥٤٠
مسألة حياة أهل القبور ٥٤٣
فصول من نونية ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك ٥٥٠
فصل في مزاعم للملحد ، وردها ٥٦٤
ليس للنصارىٰ أعلام وقناصل وقوانين عندنا ٥٦٥
متىٰ يكفر المسلم؟ ٥٦٦
الحلف بغير الله ، وحكمه ٥٧١
فصل في النذر لغير الله ٥٧٣
تخريج حديث إسلام عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ٥٧٨
الذبح لغير الله ٥٨٢
حديث : «من قرَّب ذبابًا» ٥٨٤
تجهم العراقي ، وإجماع أهل العلم علىٰ تكفير الجهمي ٥٨٦
فصل في بيان الركوب إلىٰ النصارىٰ واتخاذهم أولياء ٥٨٩
خاتمة الكتاب ٥٩٢
قصيدة للمؤلف في ذم كتاب الملحد المسمىٰ زورًا بجميل ٥٩٢
فهرس الموضوعات ٦٠٠

* * *

دحض شبهات على التوحيد

من سوء الفهم لثلاثة أحاديث

تأليف

الشيخ العلامة مفتي الديار النجدية وعالم الطائفة السلفية

عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين النجدي الحنبلي

١١٩٤هـ - ١٢٨٢هـ

تحقيق

فضيلة الشيخ الدكتور

عبد السلام بن برجس العبد الكريم

رحمه الله

١٣٨٧هـ - ١٤٢٥هـ

أئمة الدعوة إلى التوحيد، وكان من بين أولئك الشباب الطالب النبيه المدعو عبد السلام بن برجس بن عبد الكريم، الذي عزم موفقًا -إن شاء الله- على تحقيق رسائل أئمة الدعوة التي تتعلق بهذا الموضوع، وعلى تحقيقها وتثبيت النصوص وتخريج الأحاديث والآثار وذكر درجتها، وذلك جهد كبير وعمل مبرور يثاب عليه إن شاء الله تعالى، وقد ابتدأ بإخراج هذه الرسالة القيمة المفيدة في هذا الموضوع من رسائل الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين؛ مفتي الديار النجدية في زمنه، فصححها وحققها وخدمها الخدمة التامة وعزم على متابعة الرسائل أمثالها، أعانه الله وسدد خطاه، والله الموفق الهادي إلى سبيل الرشاد، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

١١/ ١٢/ ١٤٠٥هـ

تقريظ
بقلم الشيخ الفاضل حمد بن عبد الرحمن المزروع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أكمل الناس توحيدًا لرب العالمين، أرسله الله على فترة من الرسل فدعا الخلق إلى التوحيد صادعًا به بين العالمين، ولم يثنه عن ذلك ما لقيه في وجه الدعوة من أذى المشركين، بل استمر على ذلك ولم يخف في الله لومة لائمين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى أصحابه الذين سلكوا نهجه، ودعوا بدعوته، وعلى من سلك سبيلهم ودعا إلى هذا التوحيد إلى يوم الدين.

أما بعد:

فلقد قرأت رسالة الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين رحمه الله التي سماها «دحض شبهات على التوحيد» فوجدتها جديرة باسمها، وغاية في موضوعها، وحجة على خصمها، والعاند لها.

المصاعب والأسقام، وألقوا إلى تابعيهم ما تلقوه عن مشكاة الأنام ﷺ ثم سار التابعون لهم بإحسان على هذا المنهج القويم، والصراط المستقيم، وهكذا أتباع التابعين، إلى أن أذن الله -جل جلاله- بإخراج أقوام اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا، فحرفوا كلام الله سبحانه عن مواضعه، وتركوا العمل بمحكمه، واتبعوا متشابهه، فضلوا وأضلوا عن الله وعن طريقه، واتبعوا الشيطان وما يمليه من تحريفه وتضليله، حتى أوشك عرش الإسلام بالحبوط، وقارب الانهيار والهبوط، لولا أن الله تعالى وفق رجالًا للدفاع عن سبيله والذب عن حياضه وطريقه، لكان ذلك مشاهدًا بالعيان، ومدونًا في إخبار الزمان.

ولكن الله جل وعلا تكفل لهذه الأمة بحفظ دينها وكتابها وذلك ببقاء طائفة منهم على الحق ظاهرين منصورين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك(١)، وأخبر الرسول ﷺ أن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها(٢).

ونحن نستبشر بهذين الأثرين أيما استبشار، لما فيهما من تسلية الغرباء في كافة القرى والأمصار، وما زال الناس يرون تصديق هذين الخبرين بالأبصار، فكلما طمست معالم هذا الدين بظهور الفجار، وهدمت مساجده بقتل رجاله الأبرار، ونكست أعلامه في جميع الأقطار،

---

(١) حديث صحيح متواتر.

(٢) أخرجه أبو داود والحاكم وهو صحيح، وسبق تخريجه في «الضياء الشارق» لابن سحمان (ص١٤٢).

وكان الباعث لي على هذا العمل **أمور**، منها:

الأول: إعراض كثير من الناس عن تعلم التوحيد، واشتغالهم عنه بما لا يجدي ويفيد، مع أنه أشرف العلوم على الإطلاق، إذ به معرفة ربنا الخلاق.

الثاني: انتشار أهل الشرك والضلال، ونشاطهم في بث السموم والأغلال، مستغلين فتور أهل التوحيد والإيمان، عن الدعوة إلى صراط الرحمن.

الثالث: أن ما كتبه وسطره علماء نجد الأعلام، لم يجد من الباحثين مزيد اهتمام، وإنما اتجهت أنظار الباحثين إلى إخراج كتب ورسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب -ولاشك أن فيها شفاء العليل وإرواء الغليل- ولكن لو أخرج معها كتب ورسائل تلاميذه وتلامذتهم لكان ذلك نورًا على نور؛ لذا فإني لا أخرج في هذه السلسلة من كتب الشيخ شيئًا، وإنما أعتني بكتب ورسائل علماء نجد التي طبعت منذ عشرات السنين، وأصبحت اليوم كنزًا دفينًا، فأنتقي منها ما تمس إليه حاجة العصر، وينتفع به أبناء كل مصر.

وقد وقع الاختيار على أول رسالة نستفتح بها هذه السلسلة المباركة رسالة للشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين اسمها «دحض شبهات على التوحيد من سوء الفهم لثلاثة أحاديث»[1]، وهي على

(١) ليس هذا الاسم في المخطوطة، وأظن أن واضعه الشيخ محمد رشيد رضا.

وعما يورده بعضهم من قوله لأسامة: **«أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله»**[(١)].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٠٠، ٢٠٧)، والبخاري في «صحيحه» - كتاب المغازي (٧/ ٥١٧)، وفي الديات (١٢/ ١٩١)، ومسلم في «صحيحه» - كتاب الإيمان (١٥٨)، (١٥٩)، وأبو داود في «سننه» - كتاب الجهاد (٣/ ١٠٢)، والنسائي في «سننه الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (١/ ٤٤)، وأبو عوانة في «مستخرجه» (١/ ٦٧، ٦٨)، والطبراني في «الكبير» (١/ ١٢٤) كلهم من طريق أبي ظبيان حصين بن جندب عن أسامة بن زيد بن حارثة قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة من جهينة فصبحنا القوم فهزمناهم، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلًا منهم فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله. فكفَّ عنه الأنصاري وطعنته برمحي حتى قتلته. قال: فلما قدمنا بلغ ذلك النبي ﷺ فقال لي: **«يا أسامة أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله»** قال: قلت يا رسول الله: إنما كان متعوذًا. قال: فقال: **«أقتلته . . .»** قال: فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم. هذا لفظ مسلم وفي لفظ له: **«أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا . . .»** الحديث.

وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١/ ١٢٧) من طريق أخرى فقال: حدثنا أبو حصين ثنا يحيى الحماني ثنا خالد الواسطي عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن عن أسامة.. فذكر الحديث بمعناه. وسنده ضعيف، يحيى بن عبد الحميد الحماني متهم بسرقة الحديث. وعطاء بن السائب اختلط ورواية الواسطي عنه في حال الاختلاط نص عليه العجلي وغيره.

وأخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» - كتاب الإيمان (١٦٠) من حديث جرير ابن عبد الله البجلي رضي الله عنه، وفي الباب عن جندب بن سفيان عند الطبراني في «الكبير» (٢/ ١٩٠) وسنده ضعيف - وعن عمران بن حصين عند ابن ماجه (٣٩٣٠) وحسن إسناده الهيثمي.

أن يعبده المصلون في جزيرة العرب»(١) . اهـ . فأشار إلى أن(٢) معنى الحديث موافق لمعنى الآية ، وإن معنى الحديث أنه يئس أن يرجع المسلمون عن دينهم إلى الكفر . قال غير واحد من المفسرين : إن المشركين كانوا يطمعون في عودة المسلمين إلى دينهم . فلما قوي الإسلام وانتشر يئسوا من رجوعهم عن الإسلام إلى الكفر ، و هذا معنى إياس الشيطان لما رأى من ظهور الإسلام وانتشاره وتمكنه من القلوب ورسوخه فيها ، وعلى هذا فلا يدل الحديث : أن الشيطان يئس من وجود شرك في جزيرة العرب أبد الآبدين .

ويدل لما ذكرنا ما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما فتح رسول الله ﷺ مكة رنّ إبليس رنّة اجتمع إليه جنوده فقال : ايئسوا أن تردوا أمة محمد إلى الشرك بعد يومكم هذا ، ولكن افتنوهم فافشوا فيهم النوح(٣) .

---

(١) لفظ ابن كثير في «تفسيره» : «وعلى هذا المعنى يرد الحديث الثابت في الصحيح» (٢/ ١٢) .

(٢) حرف «أن» سقط من المخطوطة .

(٣) لم أجده في «مسند أحمد»- بعد بذل الجهد في تحصيله- وأخرج هذا الأثر الطبراني في «الكبير» (١٢/ ١١) قال رحمه الله حدثنا عبدان بن أحمد ثنا عمرو بن العباس الرزي ثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال . . . فذكره- وهذا إسناد ضعيف ، جعفر بن أبي المغيرة القمي نقل ابن شاهين في «الثقات» ص (٥٥) عن أحمد توثيقه . وبيض له ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢/ ٤٩٠) ، وسكت عليه البخاري في «التاريخ» (٢/ ٢٠٠) وقال ابن منده : ليس بالقوي في سعيد =

وقال: «**لتأخذن**[١] **هذه الأمة مأخذ الأمم قبلها شبرًا بشبر وذراعًا بذراع**» قالوا: يا رسول الله: فارس والروم؟ قال: «**ومن الناس إلا أولئك**»[٢]. فأخبر النبي ﷺ أن هذه الأمة تفعل كما فعلت الأمم قبلها: اليهود والنصارى وفارس والروم، وأن هذه الأمة لا تقصر عما فعلته الأمم قبلها، وقال: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله**»[٣].

نسأل الله أن يجعلنا منهم بفضله ورحمته وكرمه[٤].

= ومسلم في «صحيحه»- كتاب العلم (٤/ ٢٠٥٤) كلهم من طريق زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ... فذكره. وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٢٧، ٤٥٠، ٥١١) من طريق سعيد بن أبي سعيد المقبري وأبي سلمة بن عبد الرحمن وإبراهيم بن أبي أسيد عن جده* كلهم عن أبي هريرة... به. وأخرجه ابن ماجه في «سننه» عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة... به (٢/ ١٣٢٢).

(١) في المخطوطة «ولتأخذن».

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»- كتاب الاعتصام- باب قول النبي ﷺ: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم**» (١٣/ ٣٠٠) من طريق المقبري عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ بلفظ: «**لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها..**» الحديث.

(٣) حديث متواتر ورد عن جماعات من الصحابة، وقد جمعت طرقه في رسالة أسميتها «الرايات المشهورة في جمع طرق حديث **لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة**».

(٤) كلمة «وكرمه» ليست في المخطوطة.

---

* ولم يسمع من أبي هريرة.

غير واجب» ؛ لأنهم اختلفوا في التمالؤ[(١)] على ترك السنن ، هل يقاتلون عليها . والصحيح قتالهم وإكراههم ؛ لأن في التمالؤ[(١)] على تركها إماتتها . اهـ .

وقال في فضل صلاة الجماعة : «مستحبة للرجل في نفسه ، فرض كفاية في الجملة يعني على[(٢)] أهل المصر[(٣)] ، قال ولو تركوها قوتلوا كما تقدم . اهـ .

وقال الشيخ أحمد بن حمدان الأدرعي الشافعي ، في كتاب «قوة المحتاج في شرح المنهاج» : من ترك الصلاة جاحدًا وجوبها كفر بالإجماع ، وذلك جار في جحود كل مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة ، فإن تركها كسلًا قتل حدًّا على الصحيح والمشهور . أما

---

(١) في المخطوطة : «التمالي» .

(٢) سقطت من المطبوعة والمخطوطة .

(٣) الصواب : أن صلاة الجماعة فرض عين على القادر . فإن الله سبحانه أمر بها في حال الخوف فقال تعالى : ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ﴾ فلو كانت الجماعة سنة لكان أولى الأعذار بسقوطها عذر الخوف .

ولو كانت الجماعة فرض كفاية لما أعاد الله الأمر مرة أخرى للطائفة الثانية فقال : ﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ﴾ فلم يسقط الله عن الجماعة الثانية الصلاة في جماعة بفعل الطائفة الأولى فدل على أنها على الأعيان . وقد أبدع العلامة ابن القيم في تقرير وجوب صلاة الجماعة في كتابه الصلاة فمن أراد الاستزادة فعليه بهذا الكتاب .

حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ﴾ أي الطاعة ﴿لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣] وهذا معنى لا إله إلا الله[1].

نسأل الله أن يجعلها آخر كلامنا ويتوفانا مسلمين برحمته فهو أرحم الراحمين. وصلى الله على سيدنا[2] ونبينا محمد وعلى[2] آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

تمت هذه النسخة الشريفة المحتوية على الألفاظ المنيفة اللطيفة أسكن الله تعالى مؤلفها الغرف العالية الرفيعة آمين. وصلى الله على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا[3].

وجد بآخر النسخة الخطية ما نصه: «تم نسخ هذه الأوراق في ٢٤ رمضان سنة ١٣٤٥ بقلم كاتبها لنفسه عبد الله بن إبراهيم الربيعي».

تم بحمد الله وتوفيقه ما أردت تعليقه على هذه الرسالة النفيسة.

= تنبيه: عزا بعض الأفاضل هذا الحديث لأبي داود، وليس هو فيه بهذا اللفظ بل رواه مختصرًا بلفظ: «**من تشبه بقوم فهو منهم**». كما أخرج بعضه البخاري في «صحيحه» تعليقًا - كتاب الجهاد - (٦/ ٩٨) بلفظ: «**وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري**».

(١) روى ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٩٥) عن قتادة أنه قال: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ أن يقال لا إله إلا الله.

(٢) ليست في المخطوطة.

(٣) ليست هذه الخاتمة في المخطوطة.